

السعي

عناصر الموضوع

١٢٨	مفهوم السعي
١٢٩	السعي في الاستعمال القرآني
١٣٠	الألفاظ ذات الصلة
١٣١	أنواع السعي
١٥٠	كتابة السعي والمحاسبة عليه
١٥٦	أسباب السعي
١٦٢	جزاء السعي

مفهوم السعي

أولاً: المعنى اللغوي:

يأتي السعي في اللغة على معان هي:

- الأول: المشي، قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصفات: ١٠٢] يعني: المشي^(١).
- الثاني: الإسراع في المشي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: ٢٠]. أي: يسرع في مشيه^(٢).
- الثالث: السعي: الجهد، ومنه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥]. أي: اجتهدوا في أن يظهروا لنا عجزاً فيما أنزلناه من الآيات^(٣).
- الرابع: العمل والتصرف والكسب في أي عمل كان، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَجْزِيَنَّهُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥]. أي: تكسب^(٤)، وأصل السعي التصرف في كل عمل وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. أي: إلا ما عمل^(٥).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

السعي اصطلاحاً هو: العمل والفعل، وهذا مروى عن كثير من المفسرين منهم عكرمة ومجاهد، وزيد بن أسلم، وابن شهاب قال مالك: وإنما السعي في كتاب الله عز وجل العمل والفعل^(٦).

ويمكن صياغة تعريف للسعي في القرآن بأنه: العمل والفعل الجاد الذي يقوم على النية والقصد سواء أكان ذلك في الخير أو الشر.

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ص ٢٧٤، الكشف والبيان، الثعلبي ٢/ ٢٥٧، التفسير الوسيط، الواحدي ١/ ٣٧٦.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤١١.

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤١٢، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٣/ ٢٢٢.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٣٨٦، تاج العروس، الزبيدي ٣٨/ ٢٨٠، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٤٣١.

(٥) انظر: المصباح المنير، الفيومي ١/ ٢٧٧.

(٦) انظر: معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٨٩، أحكام القرآن، الجهضمي ص ١٩٨.

السعي في الاستعمال القرآني

وردت مادة (سعى) في القرآن الكريم (٣٠) مرة^(١).
والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٧	﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٥]
الفعل المضارع	١٢	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: ٢٠]
فعل الأمر	١	﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]
المصدر	١٠	﴿فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ [الصفات: ١٠٢]

وجاء السعي في القرآن الكريم على وجهين، وهما^(٢):

الأول: المشي، أو الإسراع في المشي: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: ٨].

يعني: يمشي، أو يسرع.

الثاني: العمل: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ

سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. يعني: وعمل لها عملاً وهو مؤمن، كان عملهم مقبولاً.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٣٥١.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢٥٨، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٣٤٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ العمل:

العمل لغة:

المهنة والفعل، قال ابن فارس: «(عمل) العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل»^(١).

العمل اصطلاحًا:

كل فعل كان بقصد وفكر سواء كان من أفعال القلوب كالتنية أم من أفعال الجوارح كالصلاة^(٢).

الصلة بين العمل والسعي:

العمل هو المعنى الرئيس في القرآن للسعي ويقوم على القصد والإرادة.

٢ الشغل:

الشغل لغة:

(شغل) الشين والغين واللام أصل واحد، يدل على خلاف الفراغ، تقول: شغلت فلانًا فأننا شاغله، وهو مشغول، وجمع الشغل أشغال، وقد جاء عنهم: اشتغل فلان بالشيء، وهو مشغول^(٣).

الشغل اصطلاحًا:

لا يختلف معنى الشغل في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

وقال الراغب: الشَّغْل والشَّغْل: العارض الذي يذهل الإنسان، قال عز وجل: ﴿إِنَّ

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ﴾ [يس: ٥٥]^(٤).

الصلة بين الشغل والسعي:

يشتركان في العمل الذي ينشغل به الإنسان، فهو سعي وشغل، وقد يكون الشغل بغير عمل، وقد يراد بالسعي غير العمل.

(١) مقاييس اللغة ٤/ ١٤٥.

وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١١/ ٤٧٥، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ٤/ ١٠١.

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي ص ٣٢٢.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٩٥.

(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٥٧.

﴿٩﴾ [الجمعة: ٩].

وفي الآية أمر من الله تعالى للمؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة، وأصل السعي في هذا الموضوع العمل، والسعي لذكر الله تعالى يتضمن جميع الطاعات، وهذا أولى لأنه أوفق لعموم اللفظ (٢).

ومثله السعي في الحج في جميع المشاعر وبين الصفا والمروة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] (٣).

كما أخبر سبحانه وتعالى أن من يسعى إلى عمل الآخرة أن سعيهم مشكور.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْهُنَّ لِسَعِيهِ

(٢) انظر: معاني القرآن، الأخصش ٥٤٢/٢، جامع البيان، الطبري ٣٨٠/٢٣، مفاتيح الغيب، الرازي ١٣٩/٤، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٧٥/٣.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٨٠/٢٣، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٦١/١، النكت والعيون، الماوردي ٨/٦، التفسير الوسيط، الواحدي ٤٠٣/٨، تفسير الراغب الأصفهاني ٣٥٥/١.

أنواع السعي

أقسم الله تعالى على أن سعي الناس أنواع مختلفة، وذلك في قوله: ﴿وَأَتْلُ إِذَا يَتَشَىٰ ① وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④﴾ [الليل: ١-٤].

أي: إن عملكم لمختلف أيها الناس؛ لأن منكم الكافر بربه، والعاصي له في أمره ونهيه، والمؤمن به، والمطيع له في أمره ونهيه، ومنكم من سعيه في طلب دنياه، ومنكم من سعيه في شهوات نفسه واتباع هواه، ومنكم من سعيه في طلب جاهه ومناه، وآخر في طلب عقباه (١).

أولاً: السعي الممدوح:

١. السعي في الطاعات.

إن السعي في الطاعات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى من السعي الممدوح الذي يكسب به الساعي رضي الله تعالى، وثناء الناس.

وقد أمر الله تعالى بالسعي إلى الطاعات

في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٦٧/٢٤، النكت والعيون، الماوردي ٢٨٧/٦، التفسير الوسيط، الواحدي ٥٠٢/٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٠٣/٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٨٠/٣٠.

وَأَنَا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿١٤﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وهذه الآيات مشتملة على الأعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وهي تشمل جميع الطاعات^(١).

كذلك يدل على هذا المعنى الآيات التي ذكر فيها عمل الصالحات، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقَوْمَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ لَبِئْسَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار)^(٢)، وروى مسلم عن أبي

هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر)^(٣).

والمراد بالساعي في الحديث: الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما، والأرملة من لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل هي التي فارقت زوجها، وسميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل إذا فني زاده، والمسكين الذي لا شيء له^(٤).

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة)، وفي رواية (وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً^(٥).

وأما كافل اليتيم فهو: القائم بأموره من

٦٢/٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم ٢٩٨٢، ٤/٢٢٨٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١٠٣/٩، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٨٥/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم ٥٣٠٤، ٧/٥٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم ٢٩٨٣، ٤/٢٢٨٧، عن سهل بن سعد.

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدى ١٠١/٣، مفاتيح الغيب، الرازى ٣٢٣/٢٠، مدارك التنزيل، النسفى ٢٥٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، رقم ٥٣٥٣.

أرسلهم عيسى إلى أهل انطاكية فجاءهم فقال: تسألون أجراً فقالوا: لا ، فقال لقومه ﴿يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْتَلِكُوا أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ حتى بلغ ﴿فَاسْمَعُونَ﴾ قال: فرجموه بالحجارة فجعل يقول: رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون ﴿يَمَّا عَفَّرَ لِي رَجِي﴾ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال: فما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ (٤).

وكذلك ذكر القرآن الكريم مؤمن آل فرعون حين نصر الحق.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

فقد كتم هذا الرجل الإيمان من أجل الدعوة والدفاع عنها، وفي مرحلة الضعف خوفاً على النفس، مما أباحه الشرع، وقد ذكر الله تعالى في معرض المدح رجلاً مؤمناً من آل فرعون كان يكتُم إيمانه (٥)، وأظهر الرجل إيمانه حين رأى أن ذلك من مصلحة

نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية (١).

٢. السعي في نصرة الحق وأهله. إن السعي في نصرة الحق وأهله من السعي الممدوح فاعله.

قال تعالى عن العبد الصالح الذي نصر الحق ودافع عن المرسلين: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس: ٢٠] (٢).

فقد جاء هذا الرجل من أقصى المدينة، وفي ذلك بلاغة باهرة؛ لأن ذلك يدل على أنه تحمل المشقة والبعد من أجل نصرة الحق وأهله، والمدينة هي انطاكية، وهي كانت كبيرة شاسعة، قائلاً لهم: ﴿قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، أي: اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل (٣)، حتى وإن ضحى الساعي في نصرة الحق بنفسه فقد جاء قتادة في قوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ قال: بلغني أنه رجل كان يعبد الله في غار واسمه حبيب فسمع بهؤلاء النفر الذين

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١١٢/١٨، شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٢١٨/٩.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١٥٣/٢٢، مدارك التنزيل، النسفي ٣/١٠٠.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦٦/٢٦٢.

(٤) انظر: التكت والعيون، الماوردى ١٤/٥، الدر المنثور، السيوطي ٥١/٧.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٧٥/٢١.

الدعوة، ومواجهة خطر فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل وقام بواجبه بالجهاد بالكلمة عند سلطان جائر والتي هي أفضل الجهاد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)^(١).

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون، وهي قوله تعالى: ﴿انفَتَحُوا لِرَجُلٍ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] أي: لأجل أن يقول ربي الله^(٢).

واختلف المفسرون أيضاً: هل كان إسرائيلياً أو قبطياً من آل فرعون؟ والتحقيق

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأوامر والنواهي، رقم ٤٣٤٤/٤، ١٢٤/٤، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، رقم ٢١٧٤، ٤٧١/٤، والنسائي في سننه، كتاب البيعة، فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر، رقم ٤٢٠٩، ١٦١/٧.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٤٠/١.

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي ١٥٢/٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٦/١٥، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٢/١٢٢٦، أضواء البيان، الشنقيطي ٣٨٤/٦.

أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية هو من جماعة فرعون، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٣)، دون أن يذكر القرآن اسمه، وإنما أشار إلى خاصته، وذوي قرابته، فهو إنسان ذو شأن في المجتمع الفرعوني، ومع هذا لم يكشف القرآن عن اسمه.

ويكون السعي في نصرة الحق وأهله بكل الوسائل الممكنة بالقول والبيان كما في هذه الآيات السابقات، أو من خلال الجهاد الشرعي المضبوط بضوابطه الفقهية المعروفة عند الفقهاء.

قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ ﴿يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدَّوْنَ أَنْ عَصَرَ ذَاتَ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٥-٨].

٣. السعي في طلب العلم.

إن السعي في طلب العلم من أفضل الأعمال التي توازي الجهاد في سبيل الله

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ١٥٢/٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٦/١٥، أضواء البيان، الشنقيطي ٣٨٤/٦.

الأوقات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله بضم التعليم والإرشاد إلى العمل، وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].^(٣)

وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)^(٤).

تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفِرُوا كَأَفْئَةٍ فَلَوْلَا نَفْرٌ مِنْ كُلِّ قَرْعَةٍ مَتَّعْتَهُمْ طَائِفَةٌ لِيَسْفِفُوهَا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

أي: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة، ليتفقهوا في الدين، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل الله بعدهم على نبيه من القرآن^(١).

وقد عاتب الله تعالى نبيه الكريم في الإعراض عن الذين يسعون في طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعًا﴾ [عبس: ٨] أي: لطلب العلم، ويخشى الله فأنت عنه تتلهى، وتتشاغل... وهذا كله من قبيل العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم^(٢). وقد بين الله تعالى أنه اصطفى من عباده من يحمل الكتاب وهم: علماء الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، أو الأمة بأسرهم، فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به، ومنهم مقتصد يعمل به في غالب

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٢/٤٠٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/٢١٥، فتح القدير، الشوكاني ٥/٤٦٣، تفسير المراغي ٣٠/٤١، التفسير الوسيط، طنطاوي ١٥/٢٨٤.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/٢٥٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٣٦٤١، ٣/٣١٧، والترمذي في سننه، أبواب العلم عن رسول

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)^(١).

ومعنى الحديث: من سلك طريقاً حسية أو معنوية، ونكره ليتناول أنواع الطريق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم الدينية، والمعنى سهل الله له بسبب العلم طريقاً من طرق الجنة، وذلك لأن العلم إنما يحصل بتعب ونصب، فمن تحمل المشقة في طلبه سهلت له سبل الجنة سيما إن حصل المطلوب.

قال ابن جماعة: «والأظهر أن المراد أن يجازيه يوم القيامة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة له فيه ولا هول إلى أن يدخله

الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم ٢٦٨٢، ٤٨/٥، وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم ٢٢٣، ٨١/١. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٢١١٧، ٢/١٠٧٩.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم ٢٦٩٩، ٤/٢٠٧٤.

الجنة سالمًا، فأبان أن العلم ساعد السعادة وأس السيادة والمراقبة إلى النجاة في الآخرة والمقوم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة فهو نعم الدليل والمرشد إلى سواء السبيل، وتقدير الطرفين (فيه - له) للاختصاص؛ لأن تسهيل طريق الجنة خاص بالله وغيره في مقابلته كالعدم؛ لأنه في حقه غير مفيد، وكذا بالنسبة لسيبه فإن غير هذا السبب من أسباب التسهيل كالعدم؛ لأنه أقوى الأسباب المسهلة وفيه حجة باهرة على شرف العلم وأهله في الدنيا والآخرة لكن الكلام في العلم النافع لأنه الذي يترتب عليه الجزاء المذكور كما تقرر^(٢).

وهناك أحاديث نبوية صحيحة عديدة فيها تنويه بالعلم وحث عليه وتنويه بالعلماء وفضلهم ومسؤولياتهم، يصح أن يساق في هذا المقام، من ذلك حديث رواه البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٣).

وسلوك طريق العلم مما تعترضه

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١/١٧٤، فيض القدير، المناري ٦/١٥٤، دليل الفالحين، البكري ٧/١٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم ٧١، ٢٥/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب النهي عن المسألة، رقم ١٠٣٧، ٢/٧١٩.

مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ
 أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ
 ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
 وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
 أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

[التوبة: ١٧-١٨].

إن عمارة المسجد هي: لزومه، والإقامة
 فيه، وعبادة الله فيه، وبنائه وترميمه، وهي
 نوعان: حسية، ومعنوية:

فالحسية: بالتشيد والبناء والترميم
 والتنظيف والفرش والتنوير بالمصابيح
 والدخول إليها والقعود فيها.

والمعنوية: بالصلاة وذكر الله،
 والاعتكاف، والزياره للعبادة فيها، وذلك
 يشمل العمرة، ومن الذكر: درس العلم،
 بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبين
 له المساجد من أحاديث الدنيا، فضلا عن
 فضول الحديث^(٢).

والمعنى في هذه الآية إنما يعمر مساجد
 الله بالحق لهم والواجب، ولفظ هذه الآية
 الخبر وفي ضمنها أمر المؤمنين بعمارة
 المساجد، وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم

المشقات والسفر والبعد عن الأوطان.

وقد قال الله تعالى عن نبيه موسى:
 ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِنَا بَعْدَاءُ مَا لَقَدْنَا لِقِينَا
 مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا
 إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيتهُ إِلَّا
 الشَّيْطَانَ أَنْ أَذْكَرَهُ. وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا
 ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا
 قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَابِتَهُ
 رَحْمَةً مِنْ عِزْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾
 قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا
 عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
 ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ
 سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا
 ﴿١٩﴾ [الكهف: ٦٢-٦٩].

يخبر تعالى عن قول موسى عليه السلام
 لذلك الرجل العالم، وهو الخضر، الذي
 خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى، كما أنه
 أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر
 قال له موسى: هل أتبعك؟ سؤال تلطف لا
 على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن
 يكون سؤال المتعلم من العالم^(١).

٤. السعي في عمارة المساجد.

إن السعي في عمارة المساجد من السعي
 المحمود الذي يقوم به المؤمنون

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٢/٣٤٦،
 تفسير القرآن، السمعاني ٢/٢٩٤، الكشاف،
 الزمخشري ٢/٢٥٤، المفردات، الراغب
 الأصفهاني ص ٥٨٦.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/١٦٣،
 أضواء البيان، الشنقيطي ٨/٣٤١.

[التوبة: ١٨] (٣).

٥. السعي في النصيحة.

إن النصيحة ذات أهمية عظيمة عند ذوي الألباب والفهوم؛ لأنها إرشاد إلى الصواب وتوجيه نحو العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة وهداية إلى ما يعود نفعه وفائدته على المنصوح بالسعادة والعز والنصيحة، تبصير بالمضار حتى لا يقع فيها من لا يعرفها.

ولذلك ينبغي أن يكون الناصح ذا رأي ثاقب وعقل راجح قد جرب الأمور وعركته الأيام والليالي، وذاق حلوها ومرها وانتفع بما رآه فيها من عسر ويسر وفرح وسرور، وخلص قلبه من هم قاطع وغم شاغل ليسلم رأيه وتخلص نصيحته من الشوائب المكدره (٤).

والسعي في النصيحة من الأعمال التي قام بها الأبياء عليهم السلام.

قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام:
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١)
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢)
﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) أُبَلِّغُكُمْ

الرجل يعمر المسجد فحسنوا به (١)، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، وعمارتها رم ما استرم منها، وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصايح وصيانتها مما لم تبين له المساجد من أحاديث الدنيا؛ لأنها بنيت للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم (٢).

ثم بين سبحانه أن المؤمنين الصادقين هم الجديرون بعمارة مساجد الله، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ليس المشركون أهلاً لعمارة مساجد الله وإنما الذين هم أهل لذلك المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بالله إيماناً حقاً، وآمنوا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وآمنوا بما فرضه الله عليهم من فرائض فأدوها بالكيفية التي أرشدهم إليها نبيهم صلى الله عليه وسلم فهم في صلاتهم خاشعون وللزكاة معطون بسخاء وإخلاص.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَسَوَّىٰ أَوْلِيَّكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١٨)

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري ٢/٢٥٥، المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/١٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/٩٠.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/١٠٥.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٦/٢٢٨.
(٤) انظر: موارد الظمان لدروس الزمان، عبدالعزيز السلطان ٣/٤٦٧.

عنه فواجب عليك أن تنبهه وتحذره ليأخذ حذره من الكائدين ، وأسرع بأخباره كما حذر رجل موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠].

فهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون والمشهور إن هذا الرجل المؤمن كان (قبلياً) من آل فرعون، وجاء من أقصى المدينة ومعنى ﴿يَسْعَى﴾ يعدو أي: من أطرافها البعيدة، ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: يتشاورون في قتلك.

الثاني: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. ومنه قوله: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦] أي: ليأمر بعضكم بعضاً، والملأ أشرف القوم، والمنظور إليهم.

﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] أي: من الناصحين لك في الأمر بالخروج، والنصح للإنسان هو الإشارة عليه بما يصلح أمره، وقد كان السلف يطلب هذا بعضهم من بعض^(١).

وتختلف النصيحة عن السعي بالنميمة؛

(١) انظر: معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٤/ ١٣٨، النكت والعيون، الماوردي ٤/ ٢٤٤، تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ١٣٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٤١.

رَسَلْنَا رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعَلَّمَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٢].

وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْمَلَكِينَ ﴿٦٧﴾ أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٨].

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّيهِمْ وَقَالُوا يَصْطَلِحُ أَثْنَتَا يَمًا تَوَدَّأَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ ﴿٧٨﴾ فَنُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَقَدْ أَبْغَضْتُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِيطُونَ بِالنَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٧-٧٩].

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِذْ أَخْبَرُوكُم بِالْحَقِّ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جُنُودًا ﴿٩١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ ﴿٩٢﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٣﴾ فَنُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَقَدْ أَبْغَضْتُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٠-٩٣].

فإذا علمت أن شراً سينزل بمؤمن غافل

لأن النميمة نقل للحديث من قوم الى قوم على وجه الإفساد بينهم وهي من الكبائر، أما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْأَلْبَدِيَّةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْإِنسَانِ أَتَمَلَّأْتُمُوهَآ بِكُلِّ مَلَأٍ يَأْتُمُونَ بِكُ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠] (١).

ثانياً: السعي المذموم:

إن السعي المذموم في القرآن الكريم لكل صور وأمثلة، منها:

١. السعي في الصد عن سبيل الله تعالى.

إن الصد عن سبيل الله تعالى قد يكون بالانصراف والامتناع عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١].

وقد يكون بالصرف والمنع عن سبيل الله نحو قوله تعالى: ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ أَصَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠١﴾﴾ [محمد: ١] إلى غير

ذلك من الآيات (٢).

وقد بين الله تعالى أن الكافرين والمنافقين يسعون مجتهدين في الصد عن سبيل الله تعالى بكل أنواع الصد، سواء أكان بالإعراض عن القرآن، وعدم الالتفات إليه، أو كان ذلك بمنع وصرف من يريد اتباع الرسول، والإقرار بالقرآن الذي أنزله الله تعالى كما يدل عليه قوله بعد: ﴿الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴿٦٠﴾﴾ [سبأ: ٦٠] (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٦٠﴾﴾، إشارة إلى سعي هؤلاء المشركين، وأنه سعي للباطل والضلال، حيث يسعون لإعجاز آيات الله، وغلبتها وصرفها عن طريقها.

وفي تعدية الفعل بحرف الجر «في» الذي يفيد الظرفية، إشارة إلى أنهم يدخلون في آيات الله ويلبسون الحق بالباطل، إذ يحرفون الكلم عن مواضعه، ويلقون فيه بالهذر من القول، والسخف من الكلام (٤).

ويكون المعنى: والذين جهدوا في إبطال آياتنا، ورد دعوة الدين، والتكذيب بها، وثبطوا الناس عن متابعة النبي صلى

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٧٧، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٣/٣٩٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٢١٨، أضواء البيان، الشنقيطي ٦/٢٦٤.

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، يونس الخطيب ٩/١٠٥٩.

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٢٥، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٥/١٢٦.

الثاني: أنه عنادهم في الدين، قاله الحسن.

(معجزين) قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباكون (معاجزين) فمن قرأ معجزين ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مثبطين لمن أراد اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول السدي.
الثاني: مثبطين في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول مجاهد.

والثالث: مكذبين، حكاه ابن شجرة.
الرابع: معجزين لمن آمن بإظهار تعجيزه في إيمانه.

ومن قرأ (معاجزين) ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مشاققين، قاله ابن عباس.
والثاني: متسارعين حكاه ابن شجرة.
والثالث: معاندين، قاله قطرب.
والرابع: معاجزين يظنون أنهم يعجزون الله هرباً، قاله السدي (٣).

ثم أخبر عن هؤلاء أنهم أصحاب النار بقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [سبأ: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

الله عليه وسلم، ظناً منهم أنهم يعجزوننا ويفلتون من أمرنا وبعثنا لهم وأننا لا نقدر عليهم، فهم أهل النار الحارة الموجهة، الشديد عذابها ونكالها، المقيمون فيها على الدوام.

وقد بين الله تعالى أن هؤلاء هم أصحاب الجحيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [سبأ: ٥] (١).

كما حكى القرآن ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٨].

كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] (٢).

واختلف أهل التفسير في معنى قوله: ﴿مُعْجِزِينَ﴾، قال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تكذيبهم بالقرآن، قاله يحيى ابن سلام.

(١) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٢/٤٤٧.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٧/٢٤٤.

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٤/٣٣.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ [النحل: ٨٨].

فالعذاب من الرجز الأليم المذكور في «سبأ» هو عذاب الجحيم المذكور في الحج (١).

ثم توعدهم الله تعالى بالويل: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢-٣].

وأخبر تعالى أن أهل الكتاب يصدون عن سبيل الله، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْآخِرِينَ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

وكذلك قال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ

فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْأَحْكَامِ يُظَلَمِ نُزُوقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاةَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧]. (٣)

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله، وكثرة ذكره، ناهياً لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم، ﴿بَطْرًا﴾ أي: دفعاً للحق، ﴿وَرِثَاةَ النَّاسِ﴾ وهو المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل: لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا، فقال: لا والله لا نرجع، حتى نرد ماء بدر، وننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبداً، فانعكس ذلك عليه أجمع، لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام، وركموا في أطواء بدر مهانين أذلاء، صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم (٤).

٢. السعي بالإنفساد في الأرض.

إن السعي بالفساد من سجايا اليهود قولاً

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢٧٦/٣، جامع البيان، الطبري ٦٦١/١٨، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤٣٣/٣، تفسير المراغي ١٢٦/١٧.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١٦/١٤، التفسير الوسيط، الواحدي ٢٣/٣، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤٣٣/٣، تفسير المراغي ١٢٦/١٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ١٠٣/٣.

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٢٩٩/٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٣/٤.

وفعلًا.

﴿٢٢﴾ [النازعات: ٢٢].

فبعد أن رأى فرعون الآية الكبرى، وهي المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته، وهي انقلاب العصا حية أو اليد، ومع ذلك كذب وخالف، كما قال تعالى: ﴿تَكذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾﴾ أي: فكذب فرعون بموسى وبما جاء به وبالحق، وعصى الله عز وجل فلم يطعه، وتولى وأعرض عن الإيمان، وأخذ يسعى بالفساد في الأرض، ويجتهد في مكيدة موسى ومعارضة ما جاء به والعمل على إبطال أمره^(٣).

وكذلك يسعى المنافقون في الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ أَنَّ هُوَ الَّذِي خِصِمَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

فالمنافق إذا تولى وأعرض وأدبر أو تولى إذا أصبح والياً سلطاناً جارٍ، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾﴾

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ۗ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعُنُوا ۖ مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ ظُفْيُنًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ لَطَفْنَاهَا اللَّهُ وَسِعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: ... ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله، فيكفرون بآياته ويكذبون رسله، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيهم فيها بالفساد والله لا يحب المفسدين»، يقول: والله لا يحب من كان عاملاً بمعاصيه في أرضه^(١)، أي: من سعيهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته^(٢).

وصفة السعي بالفساد من صفات الملوك الجبابرة، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آدِلَةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ

(١) جامع البيان ١٠/٤٦١.

وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٣٣/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢/١٨٩، تفسير الراغب الأصفهاني ٥/٣٩٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/١٣٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦/٢٤٨.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/٢٠٢، تفسير القرآن، السمعاني ٦/١٥٠، مدارك التنزيل، النسفي ٣/٥٩٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٢١٨، التفسير القرآني للقرآن، يونس الخطيب ١٦/١٤٣٩.

[البقرة: ٢٠٥] (١).

وقوله تعالى: ﴿وَبُهْلِكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ﴾.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أقوالاً:

قال المفسرون إن: المراد الأخنس في إحراقه الزرع وقتله الحمر، وقال مجاهد: المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل، وقيل: المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الزرع والمنسلون، وقال الزجاج: يحتمل أن يراد بالحرث: النساء وبالنسل نسلهن» (٣).

قال القاضي ابن عطية: «قال السدي: «نزلت في الأخنس بن شريق، واسمه أبي، والأخنس لقب، وذلك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام، وقال: الله يعلم أنني صادق، ثم هرب بعد ذلك، فمر بقوم من المسلمين، فأحرق لهم زرعاً، وقتل حمراً، فنزلت فيه هذه الآيات، وما ثبت قط أن الأخنس أسلم.

قال القاضي أبو محمد بن عطية: «والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد، إذ كل فساد في أمور الدنيا، فعلى هذين الفصلين يدور» (٤).

وقال ابن عباس: نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع عاصم بن ثابت وخبيب وابن الدثنة وغيرهم قالوا: ويح هؤلاء القوم لاهم قعدوا في بيوتهم ولا أدوا رسالة صاحبهم، فنزلت هذه الآيات في صفات المنافقين.

أي: أن المنافق أعوج المقال سيء الفعال، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، وليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث، وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل، وهو نتاج الحيوانات اللذين لا قوام للناس إلا بهما، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي: لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك» (٥).

ثم ذكر المستشهدين في غزوة الرجيع في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاتٍ اللَّهِ﴾ الآية، وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء: نزلت هذه الآيات في كل مبطن كفر أو نفاق أو كذب أو إضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك، فهي عامة» (٢).

التفسير الوسيط، الواحدي ١/ ٣١٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٨٥.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٢٠٢، تفسير القرآن، السمعاني ٦/ ١٥٠، مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٥٩٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/ ٢١٨.
(٤) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٢٧٩.
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٢٠.

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١/ ٣١٠، تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٢٨.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢٧٩.
وانظر: جامع البيان، الطبري ٤/ ٢٣٢.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٣٥﴾ [البقرة: ٢٠٥].

ثم قال بعضهم: نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين، كما روى ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري، قالوا: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه، لم يكن عليه سبيل، وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد إن قتل، أو أفسد في الأرض، أو حارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب.

قال الإمام ابن كثير: «والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات.

كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبدالله ابن زيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك أن نقرأ من عكل ثمانية، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا المدينة، وسقمت أجسامهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال (ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيبوا من أبوالها وألبانها) فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا، فقتلوا الراعي، وطرودوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في آثارهم

ومن الفساد في الأرض محاربة الله ورسوله كقطع الطريق وقتل النفس ونقض العهود والمواثيق.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

والمحاربة هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر،^(١) حتى قال كثير من السلف، منهم سعيد بن المسيب: إن قطع الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَالِكَ الْخَرْتُ وَالنَّسْلُ

(١) الحرابة هي: قطع الطريق وإشهار السلاح خارج المصر، وقال البعض تتحقق الحرابة داخل المصر.. والمحارب وفسره الجمهور في هذه الآية بالذي يقطع الطريق على الناس، مسلماً كان أو كافراً.

انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي ص ١٧٧، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب ص ٨٣، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/١٨٤، البحر المحیط، أبو حيان ٤/٢٤٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٦/١٥٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦/١٨٢.

الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة^(٤).

وقد اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها؟ على قولين:

القول الأول: إن المراد بالذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها بأنهم هم النصارى قال مجاهد: هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وعن قتادة قال: هو بختنصر وأصحابه، خرب بيت المقدس، وأعانه على ذلك النصارى، وقال سعيد عن قتادة: قال أولئك أعداء الله، النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس، حتى خربه وأمر أن تطرح فيه الجيف^(٥).

وهذا القول اختاره ابن جرير، واحتج بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/٥٢٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٢٦٩.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/٥٢٠، تفسير القرآن، السمعاني ١/١٢٨، النكت والعيون، الماوردي ١/١٧٣، تفسير الراغب الأصفهاني ١/٢٩٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٢٦٩.

فأدرکوا فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمرت أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا^{(١)(٢)}.

وقال ابن عاشور: «وفي الآية الكريمة إشارة إلى بني إسرائيل، وإلى أنهم هم الوجه البارز في الإنسانية، الذي تظهر فيه تلك المنكرات ظهوراً واضحاً، حتى لتكاد تكون الأصل الذي يقاس عليه كل منكر يظهر في الناس. فهم يحادون الله ورسوله، والمحادة هي العدوان على حدود الله، والاستباحة لحرماته»^(٣).

٣. السعي في خراب المساجد.

إن السعي في خراب المساجد من أظلم الظلم كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤].

أي: لا أظلم ممن اجتهد وبذل وسعه في خرابها الحسي والمعنوي، فالخراب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، رقم ٣٠١٨، ٤/٦٢، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين، رقم ١٦٧١، ٣/١٢٩٦.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/٢٤٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٨٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦/١٨٠.

الحرام. قال ابن جرير: «والدليل على صحة ما قلنا في ذلك، قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها، وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، إلا أحد المسجدين، إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده، غير الذين وصفهم الله بعمارتها، إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

قال ابن جرير: «والدليل على صحة ما قلنا في ذلك، قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها، وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، إلا أحد المسجدين، إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده، غير الذين وصفهم الله بعمارتها، إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

ورجح هذا القول الإمام ابن كثير فقال في ترجيح هذا القول: «شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة، ومنعواهم من الصلاة في المسجد الحرام، وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأبي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى

الله عز وجل بقوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، إلا أحد المسجدين، إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده، غير الذين وصفهم الله بعمارتها، إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

وأخرى أن الآية التي قبل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مضت بالخبر عن اليهود والنصارى ودم أفعالهم، والتي بعدها نهت بدم النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم، ولم يجز لقريش ولا لمشركي العرب ذكر، ولا للمسجد الحرام قبلها، فيوجه الخير بقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ إليهم وإلى المسجد

(١) جامع البيان ٢/٥٢٠.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/٥٢٠، التفسير الوسيط، الواحدي ١/١٩٢، تفسير القرآن، السمعاني ١/١٢٨، النكت والعيون، الماوردي ١/١٧٣، تفسير الراغب الأصفهاني ١/٢٩٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٢٦٩.

مصدودًا عنها، فأبي خراب لها أعظم من ذلك؟

وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك^(١).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ هذا خبر معناه الطلب، أي: لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها، إلا تحت الهدنة والعزية، وهذا إنما كان تصديقاً وعملاً بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وقال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين، على حال التهيب وارتعاد الفرائض من المؤمنين، أن ييطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها، والمعنى: ما كان إلا الحق والواجب إلا ذلك، لولا ظلم الكفرة وغيرهم.

وقيل: إن هذا بشارة من الله للمسلمين، أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه يذل المشركين لهم، حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم، إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل،

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٧٠.

الله عليه وسلم وأصحابه، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْبُدُوهُمْ وَأَلَّهُ هُمْ يُصَدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أُولَئِكَ هُمْ إِنْ أُولَئَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَفُونُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأضال: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [١٧] إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّعْتُمْ فَنُقِيبَكُم مِّنْهُمْ مَّرَّةً يَغَيِّرُ عَلِمٌ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ. مَنْ يَشَأْ لَو تَزَكَّيْنَا لَعَدْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [١٨].

[التوبة: ١٨].

فإذا كان من هو كذلك مطروداً منها

وعلى أي حال، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتشمل أهل الكتاب والمشركين ومن على شاكلتهم، في كل زمان ومكان، وينطبق على ما وقع من تيطس الروماني الذي دخل بيت المقدس بعد موت المسيح بنحو سبعين سنة وخربها، وهدم هيكل سليمان عليه السلام، وأحرق بعض نسخ التوراة، وكان المسيح قد أُنذر اليهود بذلك، كما ينطبق على مشركي مكة الذين منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة، وكذلك على الصليبيين الذين أغاروا على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين، وصدّهم عن المسجد الأقصى وتخريبهم كثيراً من المساجد، ويتكرر الأمر من اليهود في الوقت الحاضر بتخريب كثير من مساجد فلسطين، وإحراق المسجد الأقصى، ومحاولات هدمه المتكررة^(٣).

قال وهبة الزحيلي: «إن تدمير المساجد أو الصد عنها جرم عظيم، لا يرتكبه إلا من فقد الإيمان، وعادى جوهر الدين، واتبع الأهواء، وحارب الأخلاق والفضائل، ولم يقدم على تلك الجريمة في الماضي أو في العصر الحاضر، سواء في ديار الإسلام أو غيرها إلا الملحدون المارقون من الدين، الذين يبتغون نشر الإلحاد وتقويض دعائم الدين والإسلام»^(٤).

إن لم يسلم، وقد أنجز الله هذا الوعد، كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن يجلى اليهود والنصارى منها، ولله الحمد والمنة. وما ذلك إلا تشريف أكناف المسجد الحرام، وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافة، بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الخزي لهم في الدنيا، لأن الجزاء من جنس العمل، فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام، صدوا عنه، وكما أجلوهم من مكة أجلوا عنها، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على ما انتهكوا من حرمة البيت، وامتهنوه من نصب الأصنام حوله، ودعاء غير الله عنده، والطواف به عربياً وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرها الله ورسوله^(١).

وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَى اللَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]^(٢).

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١/١٩٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٢٧٠.
(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ١/٤٣.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١/٢٨٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ١/٢٨١.

كتابة السعي والمحاسبة عليه

بدهي أن يكتب السعي ويحاسب عليه؛ لأن ذلك سنة الله الجارية في الخلق وسيكون هذا المبحث عن ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: كتابة السعي:

بين الله تعالى أنه يكتب سعي المؤمن الذي يعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبيا: ٩٤].

والمعنى: فمن عمل بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقر بوحدانية الله؛ مصدق بوعدده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة، فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعاً له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيجحد، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله

الصالحة كلها، فلا نترك منها شيئاً لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره. وإنا مثبتون له ذلك في صحيفة أعماله، لا نترك منه شيئاً جل أو قل، عظم أو حقر، والكتابة تكون في اللوح المحفوظ، وفي الصحف

التي مع الحفظة أو في صحيفة عمله^(١). وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥].

أي: كل ذلك محفوظ ليجازي به^(٢). وأكد ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ مؤكداً بحرف التأكيد للاهتمام به، والكتابة كناية عن تحققه وعدم إضاعته؛ لأن الاعتناء بإيقاع الشيء يستلزم الحفظ عن إهماله وعن إنكاره، ومن وسائل ذلك كتابته ليذكر ولو طالت المدة. وهذا لزوم عرفي^(٣).

كما بين سبحانه أنه يكتب سعي وعمل الكافر في مواضع متعددة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرِعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/٥٢٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/٤٠٤، مدارك التنزيل، النسفي ٢/٤٢٠، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢/١٨٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/١٤٣، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٣٠، تفسير المراغي ١٧/٧٠.
(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/٦٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٣٣٩.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/١٤٤.

كما أخبر الله تعالى عن كتابة السعي بخيره وشره للمسلم والكافر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].^(٢)

فما قدموا هو أفعالهم وآثارهم أفعال الشاكرين فبشرهم حيث يؤاخذون بها ويؤجرون عليها والثالث: ما ذكرنا أن الآثار الأعمال وما قدموا النيات فإن النية قبل العمل^(٣).

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: أن يكون ذلك بياناً لكون ما قدموا وآثارهم أمراً مكتوباً عليهم لا يبدل، فإن القلم جف بما هو كائن فلما قال: نكتب ما قدموا بين أن قبل ذلك كتابة أخرى، فإن الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا وكذا، ثم إذا فعلوه كتب عليهم أنهم فعلوه.

وثانيها: أن يكون ذلك مؤكداً لمعنى قوله: ﴿وَنَكْتُبُ﴾؛ لأن من يكتب شيئاً في أوراق ويرميها قد لا يجدها فكأنه لم يكتب فقال: نكتب ونحفظ ذلك في إمام مبين، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾

[طه: ٥٢].

الشقيطي ٥٠٨/٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٢٢١.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٢٥٨.

وقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجمعة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّتُمْ آشْهَادُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عَقِبِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

إلى غير ذلك من الآيات^(١).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/٥٢٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/٤٠٤، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢/١٨٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/١٤٣، أضواء البيان،

وثالثها: أن يكون ذلك تعميماً بعد التخصيص كأنه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرةً عليه، بل كل شيء محصى في إمام مبين، وهذا يفيد أن شيئاً من الأقوال والأفعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢﴾ [القمر: ٥٢-٥٣].

يعني: ليس ما في الزبر منحصرًا فيما فعلوه، بل كل شيء فعلوه مكتوب. وقوله: ﴿أَحْصَيْتَهُ﴾ أبلغ من كتبناه، لأن من كتب شيئاً مفرقاً يحتاج إلى جمع عدده فقال: هو محصى فيه وسمي الكتاب إماماً لأن الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من أجل ورزق وإحياء وإماتة اتبعوه.

وقيل هو اللوح المحفوظ، وإمام جاء جمعاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، أي: بأئمتهم وحيثئذ، فإمام إذا كان فرداً فهو ككتاب وحجاب، وإذا كان جمعاً فهو كجبال وحبال.

والمبين هو المظهر للأمر لكونه مظهرًا للملائكة ما يفعلون وللناس ما يفعل بهم، وهو الفارق يفرق بين أحوال الخلق فيجعل فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير^(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٢٥٩، المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٦٩٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٣٢٦،

ثانياً: المحاسبة على السعي:

إن كتابة السعي تمثل مرحلة تمهيدية للحساب عليه.

وقد عامل الله سبحانه وتعالى البشر بما أمرهم أن يتعاملوا به من توثيق المعاملات بينهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

من أجل أن يعلموا أن السعي في الخير والشـر مسجل ومقيد بكل صغيرة وكبيرة ليوم الحساب.

قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣١﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ [النجم: ٣٩-٤٠].

أي: أن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازى عليه، خيراً كان أو شراً، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره^(٢).

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه^(٣)؛ لقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسَ أَسْمَانًا لِّئُرَوْا﴾

اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٦/١٨٠.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/٥٤٧، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/٧٦.
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/١٧٢، التفسير الوسيط، الواحدي ٤/٢٠٤، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/٣١١.

﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ [النجم: ٤٠-٤١].

كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُوءُ بَشَرِي إِلَىٰ عَمَلِكُمْ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَشَرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أي: فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهكذا قال هاهنا: ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ أي: الأوفر^(٢).

إن المقصود من كتابة السعي لكل إنسان هو الحساب يوم القيامة فكل سعي يعمله الإنسان من خير أو شر فهو مكتوب مسجل له أو عليه، ويعطى له كتابه يوم القيامة بكل ما عمله من خير أو شر، وذلك لإقامة الحجة عليه؛ لأن الله تعالى عليم بكل شيء، ولا يحتاج إلى كتابة تعالى الله علواً كبيراً، وحتى ما يهم به الإنسان من خير فإنه يكتب له.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/٢٧٧، لباب التأويل، الخازن ٤/٢١٤، الجواهر الحسان، الشعالي ٥/٣٣١.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/٥٤٧، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/١٧٢، التفسير الوسيط، الواحدي ٤/٢٠٤، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/٣١١، التسهيل لعلوم التنزيل تفسير ابن جزري ٢/٣٢٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٣٢.

أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وقد أخبر تعالى بأن الحساب سيكون بموجب الكتابة للأعمال.

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْفِهِ وَنُحِجُّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّرُوكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ ﴾ [ق: ١٨].^(١)

إلا ما سعى بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح وتقريره هو أنه تعالى لو قال: ليس للإنسان إلا ما يسعى، تقول النفس: إني أصلي غداً كذا ركعة وأتصدق بكذا درهماً، ثم يجعل مثبتاً في صحيفتي الآن لأنه أمر يسعى وله فيه ما يسعى فيه، فقال: ليس له إلا ما قد سعى وحصل وفرغ منه، وأما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتماد عليها ثم قال تعالى: ﴿ وَأَنْ سَعَيْهِ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

(١) انظر: أضواء البيان، الشنيطي ٦/٢٩١.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة فإن عملها كتبها عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبها سيئة واحدة)^(١).

فهذا الحديث صريح في أن كل شيء يعمله الإنسان فهو مكتوب عند الحفظة سواء كان خيراً أو شراً، حتى الهم إذا هم بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة^(٢).

وحساب الله تعالى على الأعمال هو: أن تقابل السيئات بالحسنات، وتقابل الحسنات بالنعم، فإن الإنسان عليه حقوق لله تعالى في مقابل النعم. وبعض الناس يستكثر أعماله فيقول: عملت أعمالاً كثيرة من صلوات وصدقات وأذكار وقراءة قرآن وجهاد وحج وعمرة وصوم وطواف، ولم أترف سيئات أبداً.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَعْنَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْوَرًا ۝١٣﴾ أقرأ ﴿كُتِبَ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

ويخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما من إنسان إلا وسيجد كتاب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد، ١/١١٧، رقم ١٢٨.
(٢) انظر: تفسير المراغي ٢٧/٦٦.

أعماله ملازمًا له، ينشر عليه في يوم القيامة، ويقال له: اقرأ كتابك وأنت حسيب نفسك، بعد أن تقف على كل أعمالك التي عملتها في الدنيا، وهذا هو العدل التام، والإنصاف الكامل.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بَيِّنَةٍ ۖ يَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَوْفَىٰ بِكَيْفِيَّةِ ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴿١٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ ﴿٢٠﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِيَةِ ۖ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لِزَأْوَتِ كَيْفِيَّةٍ ۖ ﴿٢٢﴾ وَلَزَأْوَرِ مَا حِسَابِيَّةٍ ۖ ﴿٢٣﴾ يَلْبِثُهَا كَاتِبُ الْقَاضِيَةِ ۖ ﴿٢٤﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ ﴿٢٥﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٩].

وهذا وصف من الله جل وعلا، وتقسيم كذلك لحال الناس بالنسبة لإيئاتهم كتبهم: قسم يأخذه يمينه، ثم يعبر عن سروره وغبطته، وما يصير إليه حاله من النعيم العظيم، والفوز الكبير.

وقسم آخر يأخذه بشماله، ثم يعبر عن حسرتة وندامته وتمنيه أنه لم يكلف بقراءة كتاب ولم يوقف لحساب، أو تمنيه كذلك لأن تكون موته التي ماتها هي القاضية فلا يبعث ولا يحاسب، ثم يتذكر بعض الأسباب التي كانت تحول بينه وبين السعادة في الآخرة، والتي منها اغتراره بالمال والسلطان، وهما آفة الكثير ممن يقع عليهم

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِسَمِيئِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ قَبِيلاً﴾ [٧١].

يخير سبحانه وتعالى أنه في يوم القيامة، في موقف فصل القضاء، يدعو كل أمة بإمامهم، أي: كتاب الأعمال ثم يعطون كتب أعمالهم، على ما سبق وصفه، إما باليمين أو بالشمال، وأخير سبحانه أنه لا يقع على أي مخلوق ظلم أو نقص من عمل، حتى وإن كان شيئاً تافهاً لا يسترعي الانتباه، كالفئيل ومثقال الذرة وما إلى ذلك^(٢).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِسَمِيئِهِ ۖ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٧﴾ [١٢]. ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٨﴾ [١٢]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ ۖ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ ۝٩﴾ [١٢]. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ۝١٠﴾ [١٢]. ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا ۝١١﴾ [١٢]. ﴿الانشقاق: ٧-١٢﴾.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٤٧/٢٢، التفسير الوسيط، الواحدي ٢٠٤/٤، مفاتيح الغيب، الرازي ٣١١/٢٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٣٢/٧.

شدة الحساب ووقوع العذاب.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

وهذا تصوير بديع لحالة وقوف الناس على كتبهم خائفين وجلين، وكأنهم قد اطلعوا على ما فيها من تسجيل كامل لجرائمهم التي كانوا يتفنون في ارتكابها، ومع هذا الخوف الشديد، والرهبة الكاملة فهم لا يخفون انزعاجهم من دقة هذا الكتاب، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووضحها تمام الوضوح، ولكن هذا صنع من يريد العدل سبحانه وتعالى بعباده، فليس هناك خوف من الظلم، فليطمئن كل مخلوق إلى أنه سوف لا يقع عليه إلا ما قدم لنفسه.

قال الإمام ابن كثير في معنى الآية: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير، والفئيل والقطمير، والصغير والكبير.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ أي: من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، لأن هذا الكتاب لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٣٢/٧.

أسباب السعي

إن هناك أسباب للسعي الممدوح، والسعي المذموم، وهذه الأسباب تعتبر الطرق الموصلة لكلا السعيين، ويمكن بيانها في النقاط الآتية:

أولاً: أسباب السعي الممدوح:

١. الإيمان.

اعتبر القرآن الكريم الإيمان أهم الأسباب الموصلة للسعي الممدوح الموصول إلى الجنة بإذن الله تبارك وتعالى، ولكنه دائماً يأتي مقروناً بالعمل الصالح، لذلك لا تكاد تجد موضع فيه ذكر للإيمان وأنه سبب لدخول الجنة إلا وهو مقرون بالعمل الصالح، وياب الأعمال الصالحة واسع وكبير، وطرق كسب الثواب عظيمة ومتعددة لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ يَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

٢. التقوى.

إن التقوى سبب لكثير من أنواع السعي الممدوح.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُوبِ وَالْحَنِظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ جَزَاءُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَكْثَبَ لَارِبِّ فِيهِ هُدًى لِّشَاقِقِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَآخِرُونَ هُمُ يُؤْفِقُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهم وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١-٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

مَاذَا تَرَى^٤ قَالَ يَا تَابِتُ أَفَعَلْ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصفات: ١٠٢].

٤. الجهاد في سبيل الله.

إن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال من أعظم الأعمال ومن الأسباب التي تجعل المجاهد يعمل السعي الممدوح لما في ذلك من الفضل العظيم.

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَقْتُلُوهُ وَيُقْتَلُوا وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِيَعْيِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى سَبِيلٍ تَجْتَنَرُ عَنْهَا مِنَ عَذَابِ إِلَهِي ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسُكُنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

ولما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله).

قيل: ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)
قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)^(٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان،

٣. طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ [النور: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ [الفتح: ١٧].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي) قالوا يا رسول الله ومن أبي؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي)^(١).

كما أن امثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [الجمعة: ٩].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا بِنِيَّ إِتِيَّ أَرَى فِي الْمَنَارِ آيَاتٍ تُذَكِّرُكَ فَاظْطَرَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٧٢٨٠، ٩٢/٩.

٥. التوبة.

إن التوبة تدفع المسلم لمزيد من السعي الممدوح من أجل المحافظة على التوبة والحذر من العودة إلى المعاصي والسيئات.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِيْلِي لَفَقَارٍ لَمَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أٰهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧] وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٦١﴾ [الفرقان: ٧٠-٧١].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

فالتوبة تجب ما قبلها وكما قال صلى الله عليه وسلم: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) (١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم ٢٦، ١٤/١.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد باب ذكر التوبة، رقم ٤٢٥٠، ١٤١٩/٢، من حديث ابن مسعود.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٠٠٨، ٥٧٨/١.

شَيْئًا ﴿٦٠﴾ [مريم: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءٰمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءٰمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

٦. الاستقامة على دين الله.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمُّوا كَمَا أَمَرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٣] أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

إن الاستقامة هي أن يجمع العبد بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة (٢).

(٢) النكت والعيون، الماوردى ١٨٠/٥.

٧. طلب العلم.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿المائدة: ٧٢﴾.
والكفر بالله عزّ وجلّ، أو بملائكته،
أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر، أو قضاء
الله وقدره: فمن أنكر شيئاً من ذلك تكديباً،
أو جحداً، أو شكّ فيه؛ فهو كافر مخلّد في
النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ
بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا
﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وهؤلاء هم الذين وصف الله سعيهم بأنه
ضلال.

قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾
[الكهف: ١٠٤].

٢. الصد عن سبيل الله تعالى.

إن الصد عن سبيل الله تعالى يعتبر من
السعي المذموم فاعله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا
مُتَعَجِّزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾
[الحج: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا
مُتَعَجِّزِينَ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مِنَ رِجْزِ أَيْسَرٍ
﴿٥١﴾﴾ [سبأ: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: (... ومن سلك طريقاً يلتمس
فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة،
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون
كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم
السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة
وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم
يسرع به نسبه) (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾﴾
[عبس: ٨].

ثانياً: أسباب السعي المذموم:

١. الكفر والشرك بالله تعالى.

الشرك بالله: بأن يجعل لله شريكاً في
الربوبية، أو الألوهية، أو الصفات. فمن
اعتقد أنّ مع الله خالقاً مشاركاً، أو منفرداً، أو
اعتقد أنّ مع الله إلهاً يستحق أن يعبد، أو عبد
مع الله غيره فصرف شيئاً من أنواع العبادة
إليه، أو اعتقد أنّ لأحد من العلم والقدرة
والعظمة ونحوها مثل ما لله عزّ وجلّ؛ فقد
أشرك بالله شركاً أكبر، واستحقّ الخلود في
النار.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا

(١) سبق تخريجه.

مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
[سبأ: ٣٨].

٣. النفاق.

وهو أن يكون كافراً بقلبه، ويظهر للناس أنه مسلم، إما بقوله، أو بفعله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِيْنَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكَانَ يُجَدِّ لَهُمْ نَصِيْرًا ﴿١٤٥﴾﴾
[النساء: ١٤٥].

وهذا الصنف أعظم مما قبله؛ ولذلك كانت عقوبة أصحابه أشد، فهم في الدرك الأسفل من النار؛ وذلك لأن كفرهم جامع بين الكفر والخداع، والاستهزاء بالله وآياته ورسوله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اَللّٰهُ عَلٰى مَا فِيْ قَلْبِهِ اَنَّهُ قَوْلُ الْحَقِّ وَلَٰكِن اِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفٰسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾
[البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

٤. الفساد في الأرض.

إن الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله من السعي المذموم قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اَللّٰهُ عَلٰى مَا فِيْ قَلْبِهِ اَنَّهُ قَوْلُ الْحَقِّ وَلَٰكِن اِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفٰسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾
[البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اَللّٰهِ مَغْلُوْلَةٌ غَلَّتْ اَيْدِيْهِمْ وَاُلْعَنُوا بِمَا قَالُوْٓاۤ اِنَّ يَدَٓهُ مَبْسُوْطَتٰنِ يَبْفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيْدَنَّ كَيْدًا مِّنْهُمْ مَاۤ اَنْزَلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طٰفِيْنًا وَّكُفْرًا وَّالْقِيْنٰتَا بَيْنَهُمُ الْعَدُوَّةُ وَالْبَعْضَآءُ اِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ كَلِمًاۤ اَوْقَدُوْٓا نَارًا لِّلْحَرْبِ اَطْفَآهَا اَللّٰهُ وَسِعَ عَوْنَ فِي الْاَرْضِ فَسَادًا وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٦٤﴾﴾
[المائدة: ٦٤].

٤. الحرابة.

قال تعالى: ﴿اِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِيْنَ يَجَارِيُوْنَ اَللّٰهُ وَرَسُوْلَهُۥٓ وِسْعَوْنَ فِي الْاَرْضِ فَسَادًاۤ اَن يُقْتَلُوْٓاۤ اَوْ يُصَلَّبُوْٓاۤ اَوْ تُقَطَّعَ اَيْدِيْهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ اَوْ يُنْفَوْاۤ مِنَ الْاَرْضِۗ ذٰلِكَ لَهُمْ جِزَآءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿٣٣﴾﴾
[المائدة: ٣٣-٣٤].

٥. الظلم.

ومن أظلم الظلم السعي في خراب المساجد.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اَللّٰهِ اَن يُذَكَّرَ فِيْهَا اَسْمُهُ وِسَعَىٰ فِيْ خَرَابِهَاۤ اُولَٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ اَن يَدْخُلُوْهَاۤ اِلَّا خٰفِيْنَۤ اَللّٰهُمَّ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿١١٤﴾﴾
[البقرة: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيٰتِنَا رِيْبَةً فَاَعْرَضَ عَنْهَا وَاَسَىٰ مَا قَدَّمْتْ يَدًاۤ اِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى

من القطيعة ، قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟! قالت : بلى يا رب ، قال : فذاك ثم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا إن شئتم :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٣) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (٢٣) [محمد: ٢٢-٢٣] (٢٣)

وأكل الربا: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٠) ﴿ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١٣١) ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) [آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

وقد توعد الله تعالى من عاد إلى الربا بعد أن بلغته موعظة الله، وتحذيره توعدته بالخلود في النار، فقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٣٧) [البقرة: ٢٧٥].

٧. العمل من أجل الدنيا.

﴿ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (٥٧) [الكهف: ٥٧].

٦. فعل الكبائر والمعاصي.

كعقوق الوالدين: وعقوقهما أن يقطع ما يجب لهما من برٍّ وصلةٍ، أو يسيء إليهما بالقول أو الفعل.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤) [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيدِ ﴾ (١٤) [لقمان: ١٤].

وقطيعة الرحم: وهي أن يقاطع الرجل قرابته فيمنع ما يجب لهم من حقوقٍ بدينيةٍ، أو ماليةٍ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة قاطع) (١).

قال سفيان: يعني قاطع رحم، وقال صلى الله عليه وسلم: (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوق الرحمن فقال له : مه ، قالت: هذا مقام العائذ بك

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾، رقم ٤٨٣٠، ٦/١٣٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم ٥٩٨٤، ٨/٥، من حديث أبي هريرة.

جزاء السعي

إن السعي بنوعيه الممدوح والمذموم لكل منهما جزاء في الدنيا والآخرة، وهذا الجزاء يدفع بالمسلم للسعي الممدوح حتى ينال الجزاء المترتب عليه، ويجتنب السعي المذموم حتى لا يناله الجزاء على ذلك أيضاً، كما أن معرفة الجزاء يدفع المسلم للإقدام على السعي الممدوح، واجتناب السعي المذموم، وفي هذا المبحث سيتم بيان هذين النوعين من الجزاء كما يأتي:

أولاً: جزاء السعي الممدوح في الدنيا والآخرة:

١. جزاء السعي الممدوح في الدنيا.

إن للسعي الممدوح جزاءً عاجلاً في الدنيا قبل الثواب في الآخرة، وليس جزاء العمل الصالح مقتصرًا على الجزاء الأخروي فقط كما يظن ذلك كثير من الناس، بل إن الله تعالى يجازي من يعمل صالحاً جزاءً دنيوياً عاجلاً كما دلت على ذلك النصوص، ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله لا يظلم مؤمناً حسنةً، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة) (٢).

أن السعي من أجل الدنيا دون اعتبار قصد الآخرة من السعي المذموم، وعلى العكس من ذلك العمل من أجل الآخرة، فمن كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها مع ما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) [الإسراء: ١٨-١٩].

ولهذا قال هاهنا ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ أي سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم (١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣٩٧.

فمن ذلك ما يأتي:

❖ المودة في قلوب المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١٦) [مريم: ٩٦].

وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض) (١).

❖ الثناء الحسن من الله تعالى.

فيتثنى الله عليه ثناءً حسناً جزاءً على السعي الممدوح في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) [البينة: ٧].

فقد أثنى الله تعالى عليهم بأنهم خيرية البرية، والبرية كل من خلق الله على العموم (٢).

ويكفي العمل الصالح فضلاً، ويكفي أهله شرفاً أن الله تعالى زكاهم وأثنى عليهم،

الدنيا، رقم ٢٨٠٨، ٤/٢١٦٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم ٣٢٠٩، ٤/١١١.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٤/٥٤٠، تفسير القرآن، السمعاني ٣/٢٦٣.

فيا له من فضلٍ وشرفٍ لمخلوقٍ يزكّيه الخالق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) [البينة: ٧]. فجعلهم سبحانه خير الخليقة.

وفي آية أخرى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْفُلَاطَةِ لَيَنبَغِي بِغُضُّهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

فالعامل الصالح سبب لسعادة القلب وفرحه، وذهاب همه وغمه؛ ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتاح بالصلاة، وجعلت قرّة عينه فيها، وكان إذا حزبه أمر صلى، والمؤمن يجد لذة وسعادة عقب كل عمل صالح يعمله، وهذه السعادة التي لا تشتري بمال، ولا تنال بجاه، وهي من الجزاء العاجل على العمل الصالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فمن الذي لا يريد الحياة الطيبة الهائثة؟! والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أيّ جهة كانت.

❖ التمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم

وقال سبحانه: ﴿وَبَرَزُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وفي الحديث الشريف عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم....)^(٢).

وفي هذا الحديث الشريف؛ أن السعي والعمل الصالح مع الإخلاص: يفرج الكرب، وينجي من الشدائد والصعاب. ❁ النصر.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَصُرُوا اللَّهَ يُنصُرُهُمْ وَيُلَيِّتُ أَقْدَامَهُمْ﴾ [محمد: ٧].
وقوله تعالى: ﴿وَلَيُنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فمن ينصر دين الله في الأرض، ينصره الله تعالى على أعدائه، وهذا ما حققه المسلمون، إذ نصروا دين الله تعالى، فنصرهم الله، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم. ❁ الإنفاق على الساعي.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ

أيها الناس، وعملوا الصالحات وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ليورثهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها ﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كما فعل من قبلهم ذلك بني إسرائيل، إذ أهلك الجبابرة بالشأم، وجعلهم ملوكها وسكانها ﴿وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ يقول: وليوطن لهم دينهم، يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، ﴿وَلَيَسِّدَنَّ لَهُمْ﴾ بمعنى: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن، قال أبي ابن كعب: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة آوتهم الأنصار ومنهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت هذه الآية»، وقد حقق الله تعالى ذلك للمسلمين الأولين لما آمنوا وعملوا الصالحات، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها، ومنحهم التمكين والعزة والقوة^(١).

❁ تفرج الكرب.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

[الطلاق: ٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم ٢٧٤٣، ٢٠٩٩/٤.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠٨/١٩، التفسير الوسيط، الواحدي ٣/٣٢٦، مفاتيح الغيب، الرازي ٤١٣/٢٤.

يُحِلُّهُ. [سبأ: ٣٩].

مِنْ زَيْبِهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾

[محمد: ٢] أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيتته، وأصلح جميع أحوالهم. فإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحاً، ولا يتدبرون إلا ناجحاً^(٣).

✽ حفظ أهل العامل وذريته.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «حفظا بصلاح أبيهما، وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم»^(٤).

✽ ولاية الله تعالى للعبد ونصرته وإجابة دعائه.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥١/٢٢، النكت والعيون، الماوردي ٢٩٠/٥، لباب التأويل، المخازن ١٣٩/٤.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١٠١/٣، معالم التنزيل، البغوي ٢١١/٣.

وعن أسماء رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا توكي فيوكي عليك) أي: لا تدخري ما عندك، وتمنعي ما عندك، فينقطع الله عنك الرزق. والإيكاء: شد رأس الوعاء بالوكاء، وهو الرباط الذي يربط به، وفي رواية: (أنفقي ولا تحصي، فيحصي الله عليك، ولا نوعي فيوعي الله عليك)^(١).

✽ وفي اصطلاح المعروف.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)^(٢).

✽ صلاح أحوال العبد.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ الْحَقُّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّكَّةَ أَمْوَالِكُمْ﴾، رقم ٢٥٩١، ١٥٨/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء، رقم ٧١٣/٢، ١٠٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم ٢٠٧٤/٤، ٢٦٩٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فهذه الآية دليل على أن من ستته سبحانه وتعالى أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم.

وقوله تعالى: ﴿وَسَتَجِدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى: ٢٦] أي: إذا دعوه استجاب دعاءهم، وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم.

٢. جزاء السعي الممدوح في الآخرة.

✽ غفران الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَمَن آَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] يعني: فمن فعل ذلك ﴿كَانَ سَعْيُهُم﴾ يعني: عملهم بطاعة الله ﴿مَشْكُورًا﴾ وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته، ويضعف لهم الحسنات، ويمحو عنهم السيئات، ويرفع لهم الدرجات^(١).

قال القاضي ابن عطية: «وذلك كله

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٢٢٩/٣، معالم التنزيل، البغوي ١٢٦/٣، زاد المسير، ابن الجوزي ١٧/٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١١٣/٢.

مرتبطة متلازم ثم شرط في مرید الآخرة أن يسعى لها سعيها، وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه، فأولئك يشكر الله سعيهم ولا يشكر الله عملاً ولا سعيًا إلا أثاب عليه وغفر بسببه^(٢).

✽ دخول الجنة.

وقد أوضح تعالى هذا في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات^(٣).

✽ أن نورهم يسعى بين أيديهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٤٤٦/٣.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/٢١١، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/٣٥٣، التفسير الوسيط، طنطاوي ٩/٩٢، الكشاف، الزمخشري ٤/٦٩٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣١٩، أضواء البيان، الشنيطي ٣/٨١.

سعيها في الآخرة راضية، يعني: رأى ثوابه في الجنة، راضية مرضية، رضي الله عنه بعمله في الدنيا، ورضي العبد من الله تعالى في الآخرة، من الثواب في جنة عالية يعني: ذلك الثواب في جنة عالية، مرتفعة في الدرجات العلى^(٢).

قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۙ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيئَةً ۙ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۙ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْوُوعَةٌ ۙ وَأَكْوَابٌ مَّرْوُوعَةٌ ۙ وَنَارٌ مَّصْفُوفَةٌ ۙ وَزَوَاقٍ مَّبْنُوتَةٌ ۙ﴾ [الغاشية: ١٠-١٦].

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۙ﴾ [الغاشية: ٩]: «فيه تأويلان:

أحدهما: أنهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل لله، لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة كالرجل يعمل العمل فيجزى عليه بالجميل، ويظهر له منه عاقبة محمودة فيقول، ما أحسن ما عملت، ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني على عمل نفسه ويرضاه.

والثاني: المراد ثواب سعيها في الدنيا راضية إذا شاهدوا ذلك الثواب، وهذا أولى، إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتى لا يريدوا أكثر منه، وإما وصف دار الثواب^(٣).

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٤/٣٨٥.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٣١/١٤١، التفسير القرآني للقرآن، يونس الخطيب

يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَنْتَبِهُونَ لِيَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَنْتَبِهُونَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨].

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعي نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يسعي نورهم بين أيديهم على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط، منهم من نوره مثل العجل، ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»^(١).

التنعم بنعمة الرضا.

قال تعالى: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۙ﴾ [الغاشية: ٩].

أي: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية، وقيل: والمعنى: لثواب

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٥/٤٧٣، التفسير الوسيط، الواحدي ٤/٢٤٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٤٩.

ثانياً: جزاء السعي المذموم في الدنيا والآخرة:

١. جزاء السعي المذموم في الدنيا.

✽ الزيف والضلال.

قال تعالى مخبراً عن بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

لما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة.

✽ نسيان الله تعالى.

قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾

[التوبة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسِيَهُمْ كَمَا نَسُوا آيَاتَهُ يَوْمَ قَامُوا بِهَذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْتُكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]

ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به وتناسيكم له، يقول الله تعالى ذلك من باب المقابلة؛ لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً، ولا يضل عنه شيء. وقد حذر الله تعالى عباده أن ينسوه

فقال: ﴿سُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

✽ مجازاتهم بعين صنيعهم.

قال تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِك شَيْطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [الله

يَسْتَهْزِئُ يَوْمَ رَجَعْتُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

[البقرة: ١٤-١٥].

وقال تعالى في المنافقين: ﴿الَّذِينَ

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا

جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ [التوبة: ٧٩].

وأما المكر: تدبير الأمر في خفية، والمكر من الله تعالى هو جزاؤهم بالعذاب مع مكرهم من حيث لا يشعرون. وقال سبحانه:

﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾

[الأنفال: ٣٠].

وقال: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

✽ الخزي في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ

اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا

أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ [البقرة: ١١٤].

✽ القتل والتشريد وإقامة الحد عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

وَأرجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ

ذَٰلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي

الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

رَجَزِ الْبِئْسَ ﴿٥﴾ [سبأ: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل عليه، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات، فإنه قال: ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿يَصْلَاهَا﴾ أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿مَذْمُومًا﴾ أي: في حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه، إذ اختار الفاني على الباقي ﴿مَدْحُورًا﴾ مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً^(١).

﴿تعبط أعمالهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَدَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٥٨.

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

﴿لقاء العداوة والبغضاء بينهم الى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ ظَنِينًا وَكَفَرُوا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿الضلال في أعمال الدنيا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَدَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُرُوفًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٤-١٠٨].

٢. جزاء السعي المذموم في الآخرة.

﴿أنهم أصحاب الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٥١].

وهو العذاب من رجز الليم: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن

جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٦﴾ [الكهف: ١٠٤-١٠٦].

وقد أوضح جل وعلا هذا المفهوم في آيات أخر؛ كقوله في أعمال غير المؤمنين: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَبٍ يَبْعَعُ يَحْسَبُ أَنْظَمَانَ مَاءٍ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَوْ يَجِدُهُ شَيْئًا وَّوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

إلى غير ذلك من الآيات.

✽ أن عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله يجازى به في الدنيا، ولا حظ له منه في الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النُّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾

﴿٢٠﴾ [الشورى: ٢٠] (١)، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النُّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وتوفيتهم أعمالهم، إنالتهم ثمراتها مكملة في الدنيا، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ : لا ينقصون من جزائهم عليها بتحصيل المسببات التي توسلوا إليها بأسبابها. ثم في الآخرة تحبط تلك الأعمال فلا يكون عليها من جزاء ولا لها من ثمرة، لأنها كانت أعمالاً باطلة لا ثبات لها (٢).

موضوعات ذات صلة:

الرزق، السير، العمل، الكسب، المشي

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٨٢/٣.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٦٩/١٥، التفسير الوسيط، الواحدي ٥٦٧/٢، مدارك التنزيل، النسفي ٥١/٢.